

كيف يُفسّر علم النفس الاجتماعي شعار ثورة 17 تشرين "كلن يعني كلن"؟

بعد مرور عام على ثورة 17 تشرين بشعاراتها اللافتة الغربية عن المجتمع اللبناني، كان لشعار "كلن يعني كلن" الصدارة في كل التظاهرات التي عمّت لبنان، فتوحدت الفئات الاجتماعية غير المنسجمة مع بعضها البعض حوله بفعل تأثيره النفسي والفكري على الناس، ما أدى الى عدوى اجتماعية ساهمت في انتشار اوسع لهذا الشعار

ثورة 17 تشرين التي لم تنطفئ منذ عام، وان خفت وتيرتها، هي احدى الثورات الملونة التي ساهم الواقع الاجتماعي المعيشي المهتز في لبنان في اشعالها، بدءاً باختبار التوقيت المناسب لها وترويج الشعارات وتسويقها لتكوين جماعات تتحكم في سلوكياتها سيكولوجيا الجماهير التي اختار مهندسو شعاراتها ان تكون مطالب اللبنانيين مستجيبة. فاحدى خصائص العمل السياسي لهذه السيكلوجيا التي تحرك الشعوب المتضررة من السلطة بشكل مباشر او غير مباشر بيع الاحلام لها.

ما هو تفسير علم النفس الاجتماعي لشعار "كلن يعني كلن"؟ في لقاء مع "الامن العام"، يتوقف استاذ علم النفس الاجتماعي في الجامعة اللبنانية الدكتور نزار ابوجودة عند اسباب اختيار هذا المضمون لشعار حاكي مشاعر اللبنانيين على الرغم من اختلافاتهم المتباينة، وذلك استناداً الى ما تم اعتماده في الغرف المغلقة قبل اطلاقه في الشارع.

■ تصدّر شعار "كلن يعني كلن" بعد عام من انطلاق ثورة 17 تشرين ساحات لبنان باصوات المتظاهرين من شماله الى جنوبه، فاجتمعوا حوله واتفقوا على ان يكون شعارهم الثابت لاطاحة الطبقة السياسية كلها من دون طرح برنامج او تقديم بديل من هذه السلطة. كيف يفسر علم النفس الاجتماعي هذه الحالة الاجتماعية التي شملت كل اللبنانيين تقريبا بكل تناقضاتهم واختلافاتهم السياسية الى حد الدخول في المجهول؟

□ هذه الحالة شبيهة بما عاشته فرنسا عام

1968 في ثورة الطلاب الذين اطلقوا شعار كل شيء والان، لكن لم تحقق هذه الثورة الشهيرة اهدافها لأن الفكرة التي انطلقوا منها تعتمد على فلسفة تقول ان الواقعية تكمن في طلب المستحيل. طبعاً، ما يطالبون به هو مستحيل، الامر الذي ينطبق على مطلقي شعار "كلن يعني كلن". كيف يفسر؟ هذا الشعار له دوره في الثورات الملونة ويخطط له شرط ان يكون مطاطياً وضبابياً وغير محدد ويقوم على التعميم. من الناحية العلمية، تحديداً في العلوم الانسانية والاجتماعية من حيث المبدأ الذي نشدد عليه مع طلابنا هو الابتعاد من التعميم لانه يوقع في الخطأ. شعار "كلن يعني كلن" هو فشة خلق عند الناس العاديين. لكن اذا نظرنا الى هذه المسألة من زاوية علم النفس الاجتماعي، سترى في الامر تلاعباً بالمشاعر كون مضمون هذا الشعار يحاكي غرائز الناس بهدف التجييش والتعبئة لتحريك الشارع بشعار توافق عليه كل الفئات الاجتماعية في لبنان على اختلاف انتماءاتها السياسية والطائفية والمذهبية على اساس ان المعاناة واحدة لدى جميع هذه الفئات. الامر مخطط له ومتمعد لاطلاق هذا الشعار الذي اعتمد مهندسوه في الغرف المغلقة على سيكولوجيا الجماهير لادارة الشارع وكيفية تحريكه من اجل ان يحقق اهدافه، التي اعني بها محاكاة غرائز الناس لجذب اكبر عدد منهم.

■ الى اي مدى تنطبق العدوى الاجتماعية على انتشار شعار "كلن يعني كلن"؟

□ الثورات الملونة قائمة على ما يسمى سيكولوجيا الجماهير، التي من اجل ان

تنجح في تحقيق اهدافها، تركز بداية على تسويق الشعارات التي يجب ان تكون رنانة يحلو للناس ترادها وتكرارها من قبل الصغار والكبار في آن واحد، فيحفظونها بسهولة. لكن هذه الشعارات لا تكفي لوحدها كي يكون لسيكولوجيا الجماهير الدور المؤثر. فهناك مخطط كبير يرتكز على التوقيت بداية، وذلك من خلال استغلال واقع اجتماعي صعب عبر طرح مطالب معيشية محقة مع تحديد اماكن لتجمع الناس بطريقة طبيعية وعفوية، مثلاً بالقرب من جسر او من ساحة تحمل رمزا وطنيا او امام مسرح يقدم برامج مسلية فيها الرقص والاغاني الوطنية لتكون انظار كل المتظاهرين شاخصة نحو هدف واحد، فيتشاركون الحدث جسدياً وفكرياً. ما الهدف من جمع الناس جغرافياً في مكان واحد وتقريبهم من بعضهم بعضاً؟ الهدف هو ان يكونوا في حال اتحاد كمجموعة ليصبحوا جمهوراً ما يلبث ان يكبر مع الوقت. بهذا السلوك الجماعي تبدأ العدوى الاجتماعية. فالفرد مع نفسه هو غير الفرد ضمن الجماعة التي معها يشعر بأنه شخص لا يقهر بينما مع نفسه او بتعبير آخر لوحده، يكون جباناً وخائفاً يحسب الف حساب قبل الاقدام على عمل عنفي، لكنه بفعل وجوده ضمن مجموعة تغيب محاسبة الذات فيفتعل المشكلات التي لا يجرؤ على القيام بها بمفرده لانه ليس وحيداً في الشارع.

■ هل تنطبق هذه الحالة على كل المشاركين في احتجاجات كتورة 17 تشرين؟

□ هذه الحالة تشمل كل المشاركين في التظاهرات التي حصلت منذ 17 تشرين من



استاذ علم النفس الاجتماعي في الجامعة اللبنانية الدكتور نزار ابوجودة.

العام الماضي، ان كانوا اطباء او مهندسين او اساتذة جامعيين او عمالا او طلاب مدارس وجامعات. المستوى العلمي لن يفيد الشخص في هذه الحالة لأن الحس النقدي لديه سيغيب بعد تحوله الى جزء من هذه المجموعة. اما الوعي الذاتي الذي يتمتع به الفرد فسيضمحل ويذوب في اللاوعي الجماعي والعدوى النفسية والفكرية ستتحول الى عدوى سلوكية. طبعاً، مع التركيز من مطلقي شعار "كلن يعني كلن" او شعارات اخرى مشابهة له على قوة الايحاء من خلال الخطابات الرنانة والرموز المستخدمة في مضمون الشعار للتأثير على مشاعر الناس بهدف جذبهم واستقطابهم الى الشارع.

■ اي مجتمعات عاشت الواقع نفسه الذي يعيشه لبنان منذ اطلاق ثورة 17 تشرين بشعاراتها الذي جذبت كل الطبقات الاجتماعية تقريبا؟

□ الثورات الملونة بدأت عام 2000 في يوغوسلافيا وعام 2004 في اوكرانيا مع الثورة البرتغالية التي تميزت بشعارها صار الوقت، وفي جورجيا وبيلاروسيا ودول اخرى ايضاً. الربيع العربي مثلاً، كما سمته

انجاحه بفعل درس توقيته وتسويقه وتحضير الشارع بمحفزات نفسية اجتماعية يشعر من خلالها كل حاقد وغاضب من واقعه بأنه ينتقم من الجميع. الغريب في الامر مساهمة السلطة السياسية في لبنان في تسويق شعار "كلن يعني كلن" والترويج له بطريقة غير مباشرة، وذلك بالوقوف عنده وذكره عند كل مناسبة ما ساعد على انتشاره بشكل اوسع.

■ لكن هذا الشعار وحّد الفئات الاجتماعية في لبنان على الرغم من اختلافاتها المتباينة، ما السبب؟

□ طبعاً سيوحدها، حتى الاحزاب المتناقضة في ما بينها اجتمعت عليه. من منا لا يحاكيه داخلياً شعار "كلن يعني كلن"، فالاهتراء السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والنقدي في لبنان اضر بحياة كل الناس، لذا من الطبيعي ان يلتقوا حول هذا الشعار. هذا ما خطط له في الغرف المغلقة، باستخدام مصطلحات وشعارات تحاكي اوجاع كل الفئات الاجتماعية في لبنان، من يستطيع ان يرفضه او يقول لا في وجهه، احدى خصائص العمل السياسي في اطار سيكولوجيا الجماهير، هي بيع الاحلام للناس. فكل متضرر بطريقة مباشرة او غير مباشرة من السلطة، شعار "كلن يعني كلن" يشفي غليله. بيع الاحلام هو اسوأ ما تقوم به السياسة المخادعة والثورات الملونة قائمة على الخداع.

■ الى اي مدى ساهم الاعلام في تسويق شعار "كلن يعني كلن"، ما الدور الذي لعبه في تعميم هذه الحالة التي سادت معظم التظاهرات؟

□ لا ثورة من دون اعلام. ما حصل في ثورة 17 تشرين ان وسائل الاعلام التلفزيونية كانت مهيأة لها، وفي احيان كثيرة كانت هي من يفتتح مكان الحدث لجذب الناس اليها كي يتحدثوا مباشرة على الهواء. كلنا يعرف ان البث المباشر كان متواصلاً، ليلاً ونهاراً. في ثورة 17 تشرين، الاعلام سبق الناس الى الحدث فأصبح هو صانعه.

ثورة 17 تشرين شبيهة بثورة الطلاب في فرنسا بشعارها المستحيل

وزيرة الخارجية الاميركية السابقة هيلاري كلينتون، هو بلا ادنى شك استعادة لربيع براغ في ستينات القرن الماضي ضد الاتحاد السوفياتي انذاك. السؤال هنا يفرض نفسه، هل حققت هذه الثورات اهدافها في الوصول الى الحرية والديموقراطية وتغيير السياسات الاقتصادية والاجتماعية؟ طبعاً لا، فالكل يترحم على الماضي. ما قبل اطلاق هذا النوع من الثورات هناك دراسة لواقع كل شعب، خصوصاً الوضع المعيشي لأن التوقيت مهم جداً من اجل نجاح هذه الثورات عبر تحريك مشاعر الناس وجذبهم بشعارات مدروسة هي كصب الزيت على النار. في لبنان شعرت كل الفئات الاجتماعية بأن شعار "كلن يعني كلن" يعينها مباشرة، وهذا ما سعى اليه مطلقوه من اجل